التّفسير الرّمزي: التكوّن والنشوء

نظرة إلى نفوذ الإسرائيليات في مصادر الحديث والتفسير

أ. نعمة الله الصالحي*

تمهيـــد

انتشر التّفسير الرّمزي الذي أجراه كعب الأحبار في جميع الأصقاع؛ وذلك بفضل دعم الخلافة لأفكاره وتبنّيها الترويج لها على عهد عمر وعثمان ومعاوية. وقد كانت آراؤه تطرح في الأوساط العلمية، بوصفه شخصيّة علمية كبيرة ومرموقة، تتداول اسمه الألسنة، وتدوّن له الآراء.

وسوف نتعرّض، في هذه المقالة، إلى دراسة منهج كعب الأحبار في التفسير بالطريقة المشار إليها، ولكن قبل البدء بذلك نستعرض لمحة من حياته وسيرته للتعرّف إلى شخصيته:

من هو كعب الأحبار؟

١ ـ هو كعب بن مائع (أو ماتع) الحمْيَري، وكنيته أبو إسحاق. كان مسكنه في اليمن، ثم قدم المدينة على عهد أبي بكر أو عمر، وقد كان آنذاك في الثمانين من عمره، فسكن المدينة، ثم توجّه بعد ذلك إلى الشام، فأقام في حمص الواقعة بين دمشق وحلب، وتوفي فيها سنة ٣٢ أو ٣٤ هجرية، عن عمرٍ يزيد على المئة سنة[١].

٢ ـ لقد استطاع كعب الأحبار، بوصفه أحد علماء اليهود ـ ولتجربته الكبيرة والغنيّة، بالإضافة إلى تطوافه في البلاد وكثرة أسفاره ـ أن يعتمد على علمه وتجربته

---

* باحث من إيران، ترجمة: الشيخ صفاء الدّين الخزرجي

في استقطاب ثقة السلطة، وأن ينال موقعاً ممتازاً ومنزلةً خاصة لدى الخلفاء، ما زاد في شهرته الاجتماعية.

٣ ـ كان كعب يعلم أنَّ مدحه للخليفة سوف يزيد من قربه إليه، ولذا نجده يروي للخليفة الثاني: إنّا قد وجدنا في كتبنا أنك تستشهد[٢]. فكان لمثل هذا الكلام الذي يسنده إلى كتب اليهود أثره في زيادة نفوذه لدى الخليفة وفي المجتمع الإسلامي.

٤ ـ لقد بلغ استقطاب كعب الأحبار لثقة الخليفة الثاني حدّاً أنّه كان يستشيره في القضايا السياسية، حتى نجده يستشيره في تولية الإمام علي عليه السلام من بعده للخلافة، فيجيبه كعب: إنّه لا يصلح، إنّه رجل متين الدين، لا يغضي على عورة، ولا يحلم على زلّة.. وليس هذا من سياسة الرعية[٣].

ولهذا ذكر المؤرّخون أنّ كعب الأحبار كان منحرفاً عن علي عليه السلام[٤].

٥ ـ كما أنّه كان مقرّباً من الخليفة الثالث أيضاً، وكان الخليفة هذا يقدّم رأيه على رأي أبي ذر.

فقد سأل عثمان يوماً جماعة كان فيهم كعب الأحبار وأبو ذر: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال شيئاً قرضاً، فإذا أيسر قضى؟ فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك، فردّ عليه أبو ذر: يابن اليهوديين، أتعلّمنا ديننا؟! فقال عثمان: قد كثر أذاك وتولّعك بأصحابي، إلحق بالشام، فأخرجه إليها[٥].

٦ ـ لقد كان معاوية ـ وهو والي الشام ـ داعماً لكعب الأحبار دعماً مطلقاً ساعياً في بث أفكاره وامتداح شخصه، ومن جملة ثنائه عليه قوله: إن كعب الأحبار أحد العلماء[٦].

٧ ـ لم يكن كعب يتورّع عن الكذب ما اقتضت المصلحة ذلك، وقد كان كذبه ذائعاً ومسلّماً به، حتى وصفه الإمام علي عليه السلام بقوله: «إنّه لكذّاب»[٧].

٨ ـ لقد كان موقف الحكومة ـ آنذاك ـ الدّاعم لأكاذيب كعب الأحبار سبباً وراء انتشار هذه الأكاذيب بين المسلمين بشكل سريع وواسع. فممَّا حدّث به كعب: «إنّ

الكعبة تسجد في غداة كل يوم لبيت المقدس»، وذلك لتفضيل بيت المقدس، وهو قبلة اليهود ـ حيث كان كعب قد قضى أكثر عمره يهودياً ـ على الكعبة. وقد أخذ هذا الحديث مأخذاً جدّياً وصدّقه المسلمون على ذلك، حتى أنّ شخصاً ـ كما في حديث صحيح ـ جاء بعد سبعين سنة من وفاة كعب إلى الإمام الباقر عليه السلام لينقل له قول كعب هذا في الكعبة وبيت المقدس ويسأله عنه، فقال له الإمام الباقر عليه السلام: «فما تقول في ما قال كعب؟».

فقال: صدق، القول ما قال كعب، فقال أبو جعفر عليه السلام: «كذبت، وكذب كعب الأحبار معك»، وغضب[٨].

٩ ـ إنّ كذب كعب كان واضحاً للعيان حتى قال عنه معاوية الذي كان يدعمه ويحميه: «كنّا لنبلوا عليه الكذب»[٩].

ومن هنا، فلا ينبغي الشك ـ عندما يذعن معاوية ويعترف بكذبه ـ في سقوط أحاديثه وسقم نقوله التاريخية، خصوصاً في تفسيره للقرآن الكريم، فالأصل في ذلك، سيما في ما يرتبط بتاريخ الأنبياء، البناء على الكذب ما لم يشهد له دليل آخر بصدقه.

١٠ ـ كان كعب الأحبار يسعى إلى بثّ المعتقدات اليهودية بين المسلمين، كالقول بإمكان الرؤية لله سبحانه، فإنّه من الاعتقادات اليهودية التي دسّها كعب في عقائد المسلمين، حيث إنّهم ـ أي اليهود ـ ينقلون أنّ الله سبحانه أُصيب يوماً بوجع في عينيه فعادته الملائكة[١٠].

وقد شاعت فكرة رؤية الله بين المسلمين حتى قال كعب الأحبار: إنّ الله عز وجل قسّم كلامه، ورؤيته، بين موسى ومحمد صلى الله عليه وآله، فكان لموسى الكلام معه، وكان لمحمد صلى الله عليه وآله رؤيته بعينيه[١١]. وعليه، فإنّ فكرة التجسيم المنافية لروح الإسلام ـ التي قد ذهب إليها بعض المسلمين فقالوا: إنّ لله يداً ورجلاً وجسماً وعيناً وأُذناً ـ قد شاعت في الوسط الإسلامي عن طريق كعب الأحبار وأمثاله.

كانت تلك لمحة عامّة عن حياة عالم يهودي أسلم، أو أعلن إسلامه، في الثمانين من عمره، ولأنّه كان مقرّباً من الخلافة، فقد أتيح له أن يبثّ طوال عشرين

عاماً كل ما يريد في تفسير القرآن الكريم وتاريخ الأنبياء؛ ومن ذلك نقل الأحاديث الكاذبة وترويج العقائد الباطلة، فكان لنشاطه هذا دور تخريبي في فكر المسلمين وعقائدهم وثقافتهم، ولا تزال كتب المسلمين لم تهذَّب من أفكاره وأكاذيبه.

شيوع التفسير الرّمزي الذي أجراه كعب الأحبار في المجتمع الإسلامي

لقد كان تفسير كعب الرمزي عبارة عن تفسير «الباء» في ﴿بسم الله﴾ ببهاء الله، و «السين» بسنائه، و «الميم» بملكه. وقد كان من الطبيعي أن يعمل إعلام الخلافة لصالح آرائه ونشرها بعد أن استطاع كسب ودّها وتأييدها له. ومن هنا فقد شاع تفسيره لـ ﴿بسم الله﴾ في المجتمع الإسلامي، بوصفه رأياً مقبولاً، يدرّس في المدارس لمتعلمي القرآن وتفسيره.

وثمّة عامل لا ينبغي الغفلة عنه ساعد في نشر أفكاره وآرائه، ألا وهو بساطة عامّة الناس وتلقيهم لآراء كعب، في التفسير الرمزي والحروفي، على أنها كشف علمي جديد.

ففي تلك المرحلة التي لم يحسن فيها الكتابة والقراءة إلاّ قلّة قليلة جداً من المسلمين ـ بل حتى المتعلمين منهم كانوا سطحيين ولم يكونوا ذوي درجة من العمق ـ عندما يبلغهم عن شيخ من علماء اليهود أنّه يفسّر الباء في ﴿بسم الله﴾ بمعنى بهائه، والسين بسنائه، والميم بملكه، فإن طراوة هذا الكلام وحداثته بالنسبة لهم تشكّل سبباً في انجذابهم إليه، وكأنّه كشف جديد؛ فيخيل إليهم أنّ مثل هذا العالم الخبير ـ وهو موضع ثقة الخلافة ـ قد وجد ذلك في الكتب السماوية وفي كتب الأنبياء السابقين.

فالبسطاء من الناس لا يلتفتون إلى أنّ الحرف لو جاء وحده، وبمعزل عن تركيب الكلمة، فإنّه لا يدل على شيء، فحرف الباء ـ مثلاً ـ لم يوضع لمعنى لوحده، فهو مادة أولية إذا اجتمعت مع غيرها من الحروف أصبح لها معنىً ما. فالباء لو أضيفت إلى القاف واللام لوجد لها معنىً وهو بقل، كما أنّها لو دخلت على زيد، في «مررت بزيد»، كان لها معنى متصل غير مستقل، وهو المعنى الحرفي الذي يقابل المعنى الإسمي، إلاّ أنّ هذا المعنى الربطي نفسه الحاصل للباء إنما يتبلور في ما لو

دخلت على الكلام لا فيما إذا كانت مجردة لوحدها. ففي كلمة «بسم الله» نفسها نرى أنّ لها معنىً حرفياً رابطاً له متعلق مقدّر ولا معنى لها في نفسها.

فلو كان كعب الأحبار يريد من حرف الباء ـ في بسم الله في حالته المركبة ـ بهاء الله، ومن السين سنائه، ومن الميم ملكه، لم يكن تامّاً، وذلك لأن حرف الباء إذا كان في حالته التركيبية، فإن له معنى حرفياً رابطاً وليس معنى اسمياً، فلا يوجد للسين أو الميم معنىً مستقل.

وإن كان يقصد بهذا التفسير أمراً غير مطابق لقواعد اللغة العربية، كما لو كان يقصد به العلوم الغريبة والرموز الغيبية والملكوتية العالية، فهذا لا يعدو أن يكون نسجاً من الخيال لا يبعد صدوره من شخص كذّاب مثل كعب الأحبار.

وعليه فتفسير ﴿بسم الله﴾، بطريقة الرمز، لكعب الأحبار، مما لا يتّفق والقواعد والمعايير العلمية والأدبية والمنطقية، ولا يمكن الأخذ به وقبوله، ولا بدّ من تصنيفه في الإسرائيليات الداخلة في الثقافة الإسلامية التي يجب تهذيبها وتنقيتها منها.

الضحاك بن مزاحم والتفسير الرمزي لكعب الأحبار

تقدّم أنّ ما يذكره كعب الأحبار، في تفسير القرآن، وتاريخ الأنبياء، والعقائد وغير ذلك من المسائل، سرعان ما كان ينتشر ويذيع في الأوساط العلمية وبين المتعلمين؛ وذلك بفضل مساندة الخلافة وموقفها المؤيد له. فكان من الطبيعي أن يكتب لآرائه البقاء بعد موته، وأن تنتقل عن طريق التعليم إلى الأجيال القادمة.

ففي الوقت الذي كان، فيه، أهل البيت عليهم السلام في قمّة الإنزواء والعزلة، كان أمثال كعب الأحبار، ووهب بن منبه، يتصدَّيان لأمر التعليم ونشر الثقافة الإسلامية في المجتمع، وكان من الطبيعي أن تنساب آراء كعب في القلوب والعقول، وتنتقل من قبل معلمي القرآن وتفسيره إلى المتعلمين له في رقعة واسعة من بلاد الإسلام. ومن هنا نجد أن تفسيره الرمزي لـ ﴿بسم الله﴾ بقي متداولاً بعد وفاته سنة (٣٢ أو ٣٤ هجرية) لاعتماده في المنهج التعليمي لتفسير القرآن. ومن جملة أولئك المفسّرين الضحّاك بن مزاحم الخراساني، فقد كانت مدرسته واسعة جداً، تضم ما يقارب ثلاثة آلاف شخص من المتعلمين لتفسير القرآن وقراءته، حتى قيل: إنّه كان

يمتطي مركبه ليدور على حلقات الدرس في مدرسته[١٢]. وقد سعى الضحّاك بن مزاحم ـ المفسّر الذي تنقل مصادر التفسير آراءه بكثرة ـ إلى طرح تفسير كعب الأحبار لـ ﴿بسم الله﴾، بوصفه قولاً مقبولاً لدى تلامذته من دون أن يصرّح بنسبته إلى كعب[١٣].

لقد تبنّى كعب الأحبار هذا التفسير الرمزي لـ ﴿بسم الله﴾ في القرن الأول الهجري، وألقاه الضحّاك بن مزاحم (المتوفى سنة ١٠٥ أو ١٠٦ هجرية)[١٤] على تلامذته في أواخر القرن الأول وبدايات القرن الثاني الهجري، وكتب ذلك وأثبته بوصفه رأياً له، وبذلك انتقل قول كعب الأحبار إلى القرن الثاني عن طريق الضحّاك بن مزاحم بوصفه رأياً له.

تسرّب التفسير الرمزي لكعب الأحبار إلى المصادر الحديثية

ما إن دخل القرن الثاني الهجري، حتى أخذ الكذَبة ما نسجه كعب الأحبار لينقلوه في صيغة الرواية، فاختلقوا سنداً ينتهي إلى النبي ﷺ ليأخذ طريقه إلى كتب أهل السنة.

نقل الطبري، في تفسيره الكبير، جامع البيان، في هذا الشأن، حديثاً قال فيه: «... حدّثنا إسماعيل بن الفضل، قال: حدثنا إبراهيم بن العلاء بن الضحاك، قال: حدثنا اسماعيل بن عياش، عن إسماعيل بن يحيى عن ابن أبي مليكة، عمَّن حدثه، عن ابن مسعود، ومسعر بن كدام، عن عطيّة، عن أبي سعيد ـ الخدري ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عيسى بن مريم أسلمته أُمّه إلى الكتّاب ليعلمه، فقال له المعلّم: أكتب بسم، فقال له عيسى: وما بسم؟ فقال له المعلّم: ما أدري، فقال عيسى: الباء: بهاء الله، والسين: سناؤه، والميم: مملكته»[١٥].

وقد نقل السّيوطي هذا الحديث في الدر المنثور[١٦] عن ستة من علماء أهل السنة هم: ابن جرير، وابن عدي، وابن مردويه، وأبو نعيم، وابن عساكر، والثعلبي. ثم ذكر أنّ سنده ضعيف جداً.

وضعّفه لوجود إسماعيل بن يحيى، وقد ذكر الذهبي نسبه قائلاً: إسماعيل بن

يحيى بن عبيد الله بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، أبو يحيى التيمي[١٧].

وإسماعيل بن يحيى هذا، مجمع على كذبه ووضعه وسقوطه وعدم الإعتماد على نقله. وقد قال عنه علماء الرّجال: إنه كذّاب مجمع على تركه وسقوط روايته ووضعه الحديث وإنّ كل ما ينقله هو كذب، وإنه ركن من أركان الكذب والوضع على ألسنة الثقات من الرواة، وإنه يروي كذباً عن مالك وسفيان الثوري، وإنّه لا تجوز روايته.

وذكر الذهبي وابن حجر العسقلاني، في إسماعيل بن يحيى، أنّه يروي الأباطيل عن ابن جُريج ومسعر، ثم نقلا عنه ما نقلناه سابقاً ـ الذي رواه إسماعيل بن يحيى عن مسعر ـ ثم قالا عنه: إنه حديث باطل[١٨].

وهكذا نلاحظ كيف أنّ مثل هذا التفسير السقيم بالرمز لبسم الله قد اخترعه ذهن كعب الأحبار، وهو تفسير إسرائيلي من دون شك، ثم كيف انتقل إلى القرن الثاني الهجري عن طريق إسماعيل بن يحيى الكذاب ليلبسه لباس الخبر والحديث، بسند مختلق، ولكن هذه المرّة على لسان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام، الأمر الذي لم يتفوّه به هذا النبي العظيم، ولكن إرادة الوضّاعين شاءت أن تُحكم وتثبّت التفسير الرمزي الذي اخترعه كعب، فنسبوه إلى نبي من أولي العزم.

وهنا لنتوقف ـ هنيهة ـ لنسأل: من هو واضع هذا الحديث، مع أنّ عيسى بن مريم قد بلغ مرتبة النبوة وهو في المهد؟ فهل أرادت أمّه من إرساله للتعلّم الإنتقاص من ولدها، أو أنّها أرادت إظهار عجز معلّمه وجهله؟ وهل أن انتقاص عيسى أو الخدشة بمعرفة المعلّم ومنزلته أمر سائغ ومشروع؟ قد يقال: إنها لم تقصد لا هذا ولا ذاك، ولكنها أرادت التسلّي بذلك، فكانت الأداة في تسليتها عيسى ومعلّمه!

ولو قطعنا النظر عن ذلك، فإنّ اللغة التي كان عيسى ينطق بها ليست العربية، بل هي إمّا العبرية أو السريانية، فهل حاور معلّمه وكلّمه بالعربية أو أنه كلّمه بلغته ولسانه، ولكن واضع الحديث ترجمه إلى العربية ليكشف للأُمّة الإسلامية سرّاً خفياً في تفسير ﴿بسم الله﴾؟!

التفسير الرّمزي لكعب الأحبار في أحاديث الشيعة

ورد تفسير كعب الأحبار الرمزي لـ ﴿بسم الله﴾ ـ وللأسف ـ في كتب أحاديث الشيعة بصورة الرّواية، إلاّ أنّه لم يرد في حديث صحيح السند، كما سنلاحظ ذلك عند ذكر هذه الأحاديث:

الحديث الأول: روي، في أصول الكافي، الحديث الآتي: عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن بن راشد، عن عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن تفسير ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾؟ قال: «الباء: بهاء الله، والسين: سناء الله، والميم: مجد الله». وروى بعضهم الميم ملك الله..[١٩].

وجاء هذا الحديث أيضاً في توحيد الصدوق[٢٠]، وفي كتاب المحاسن للبرقي[٢١]، وقد ذكر العلاّمة المجلسي في شرح هذا الحديث أنّه ضعيف السند[٢٢]، ومراده أنّه ضعيف لوجود القاسم بن يحيى في السند.

وقال العلاّمة المامقاني أنّه قد ضعّفه من علماء الرجال كل من ابن الغضائري، والعلاّمة الحلّي، وابن داود[٢٣].

وعليه، فعندما يضعّف خمسة من علماء الرجال يحيى بن القاسم، في حين لم يوثّقه حتى شخص واحد منهم، فمن البديهي ألاّ يُعتمد على حديثه. فإنّه من الممكن أن يضع الراوي الضعيف حديثاً، ويخترع له سنداً من الرواة ويسنده إلى المعصوم، والقاسم بن يحيى ـ بناءً على ما ذكره علماء الرجال ـ هو من هذا القبيل.

نعم، ورد في معجم رجال الحديث، أنّ القاسم بن يحيى ثقة لوقوعه في سند الحديث الأول من كامل الزيارات، وحيث إن ابن قولويه قد ذكر، في مقدّمة كتابه، أنّه يرويه عن ثقات أصحابنا (رحمهم الله)، فهذا في نفسه توثيق عام لجميع الرواة، فيكون القاسم بن يحيى مشمولاً لهذا التوثيق العام، فهو من الثقات والمعتبرين[٢٤].

ولكن ينبغي أن يُعلم أنّ مراد ابن قولويه، من عبارة «ثقات أصحابنا رحمهم الله» ـ في مقدمة كتابه (الصفحة ٤) ـ مشايخه المباشرون الذين ينقل عنهم بلا

واسطة، فإنّ في من يروي عنه في هذا الكتاب من غير الثقات أو من غير رواتنا. ومن الواضح أنّ غير رواتنا لا يمكن أن يعبّر عنهم ابن قولويه بـ «أصحابنا»، كما أنّه لا يمكن أن يترحّم على غير الثقات من غير رواتنا. فاتّضح أنّ ترحُّمه على خصوص مشايخه المباشرين في كتابه لا جميع رواته. والقاسم بن يحيى ليس من مشايخه المباشرين، فلا يشمله هذا التوثيق فيبقى التضعيف الصادر من علماء الرجال الخمسة المتقدمين بحاله ولا معارض له.

هذا، إضافةً إلى أنّه قد نقل عن السيد الخوئي (قده) أنّه قد عدل عن هذا الرأي[٢٥]، وقد أشار إليه في المجلد (٢٤) من المعجم.

الحديث الثاني: ما رواه الشيخ الصدوق في التوحيد بهذا النحو:

حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن العباس بن معروف، عن صفوان بن يحيى، عمّن حدثه، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سُئل عن ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، فقال: «الباء: بهاء الله، والسين: سناء الله، والميم: ملك الله»[٢٦].

وهو مرسل: لعدم العلم بمن يروي عنه صفوان بن يحيى، فالحديث ساقط لاحتمال الكذب في من يروي عنه؛ وذلك لأنّ صفوان بن يحيى ينقل عن بعض الكذّابين كأبي جميلة[٢٧].

وهكذا نلاحظ أنّ ما ذكره كعب الأحبار، من تفسير بالرمز للبسملة، قد ورد بصيغة الخبر المسند روايته إلى الإمام الصادق عليه السلام، فيكون هذا التفسير المخترع لكعب قد انتقل من محيط أهل السنّة وكتبهم إلى مصادر الشيعة ورواياتهم.

اختلاط أحاديث أهل السنّة بأحاديث الشيعة

ثمّة شواهد تدلّ على نقل رواة أهل السنّة ورواة الشيعة، بعضهم عن بعض، بما يؤدي إلى اختلاط الأحاديث وعدم تمايزها. فالحديث السنّي المصدر ينسب إلى الشيعة، بحيث لا يمكن تشخيص أنه من أهل السنّة، وكذا العكس. فقد نقل الفضل بن شاذان أن أباه سأل محمد بن أبي عمير قائلاً: إنّك قد لقيت مشائخ العامّة فكيف

لم تسمع منهم؟ فقال: قد سمعت منهم، غير أني رأيت كثيراً من أصحابنا قد سمعوا علم العامة وعلم الخاصة، فاختلط عليهم حتى كانوا يروون حديث العامّة عن الخاصّة وحديث الخاصّة عن العامّة، فكرهت أن يختلط علي، فتركت ذلك وأقبلت على هذا[٢٨].

وكلام ابن أبي عمير دالّ على كثرة استفحال هذه الظاهرة لدى الرواة، لا أنّ ذلك على نحو الندرة أو الإستثناء. والذي نراه، في الحديثين السابقين، أنّهما من هذا القبيل، فالأصل فيهما هو حديث أهل السنّة، وقد أخذوه من كعب الأحبار، وقد اختلط بأحاديثنا عمداً أو بغير عمد، ونسب إلى رواتنا.

التلاعب باسم الجلالة (الله)

ورد، في ذيل الحديث الثاني المار الذكر: ... قال: قلت: الله؟ قال: «الألف: آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا، واللام: إلزام الله خلقه ولايتنا». قلت: فالهاء؟ قال: «هوانٌ لمن خالف محمداً وآل محمد ﷺ...»[٢٩].

والذي يبدو أنّ المنشئ لهذه العبارات قد بدا، في مخيلته، أن يتلاعب باسم الجلالة، فسعى جاهداً إلى الربط بين كل حرف من حروفه وولاية أهل البيت عليهم السلام. ومن هنا فقد ذكر: أنّ الألف إشارة إلى نعم الله التي يراد بها ولاية أهل البيت عليهم السلام، واللام فيه إشارة إلى إلزام الله خلقه ولاية أهل البيت عليهم السلام ومراده أن اللام في «الله» إشارة إلى أصل مادة الإلزام أي اللزوم، ويقصد باللزوم الإلزام، وهو إلزام الخلق بولاية أهل البيت عليهم السلام، والهاء إشارة إلى هوان المخالفين.

فمخترع هذه الألفاظ وواضعها لم يجد لفظاً مناسباً يبتدئ بالألف بحيث ينسجم ويرتبط بولاية أهل البيت عليهم السلام، فالتجأ إلى وضع لفظ «آلاء» وهي صيغة جمع للنعمة، ثم فسّر صيغة الجمع هذه بالمفرد أي النعمة، ثم فسّر النعمة بولاية أهل البيت عليهم السلام.

ثم بحث، فلم يجد لفظاً يبتدئ بالهاء يربطه بولاية أهل البيت عليهم السلام، فاضطر إلى وضع كلمة «الهوان» وربطها بشكل غير مباشر بولايتهم.

إنّنا نلاحظ مقدار التكلّف في هذه العبارات العارية عن الفصاحة، ونلاحظ أيضاً مقدار التكلّف في تحميل هذه المعاني ـ التي تتحدث بلغة الرمز ـ على لفظ الجلالة مما يشمئز منها طبع كل قارئ وذوقه.

إننا لو رجعنا إلى وجداننا عندما نناجي الله سبحانه ونقول: يا الله... فهل تخطر في أذهاننا مثل هذه المعاني المخترعة، بحيث يطلب الإنسان حاجته منها؟! فهل يعني هذا الاختراع للمعاني غير التلاعب باسم الجلالة، بل وحتى المساس به وتقليل الشأن من حيث لا يعلم بذلك من يدّعي مثل هذه المعاني؟

لا شك في أنّ مثل هذا الصَّنيع هو من وحي الخيال والوهم، وهو بعيد كل البعد عن الحقيقة والواقع، فهو إمّا من جهل الأصدقاء أو مكيدة من مكائد الأعداء. وقد ورد في حديث عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «... إنَّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا...»[٣٠].

ومن المحتمل قوياً أنّ مثل هذا التلاعب بتفسير اسم الجلالة، تحت غطاء المدح لأهل البيت عليهم السلام، هو من صنع أعدائهم ومن مصاديق الحديث السابق، وأن من وراء ذلك هدفاً سياسياً.

كما يحتمل أن يكون من وضع صديقٍ أبله تصوّر أنّه إذا اخترع لكل حرف من حروف اسم الجلالة معنىً، فإنّه قد جعل فضيلة لأهل البيت عليهم السلام، ليصل إلى أن كل شيء ينتهي إلى ولاية أهل البيت ويرتبط بها حتى اسم الجلالة!

ومما ينبغي أن يعلم أنّ الأحاديث المعتبرة والموثّقة في فضائل أهل البيت عليهم السلام قد بلغت حدّاً من الكثرة تكفي المحبين والموالين لهم عليهم السلام، وتغنيهم عن مثل هذه الموضوعات، فليراجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني، وإثبات الهداة للشيخ الحر العاملي، وإحقاق الحق للقاضي نور الله التستري، وغاية المرام للسيد هاشم البحراني، وغير ذلك من الكتب المشابهة لها.

الهوامش:

(١) تهذيب التهذيب، ٨/ ٤٣٩ و«فرهنگ معين بالفارسية = المعجم المعين».
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ١٢/ ١٩٣.
(٣) المصدر نفسه، ١٢/ ٨١.
(٤) المصدر نفسه، ٤/ ٧٧.
(٥) المصدر نفسه، ٨/ ٢٥٦.
(٦) تهذيب التهذيب، ٨/ ٤٣٩.
(٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٤/ ٧٧.
(٨) الكافي، ٤/ ٢٤٠.
(٩) تهذيب التهذيب، ٨/ ٤٣٩.
(١٠) الملل والنحل (الشهرستاني)، ص ٤٨.
(١١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٣/ ٢٣٧.
(١٢) ميزان الاعتدال، ٢/ ٣٢٥.
(١٣) الدر المنثور، ١/ ٨.
(١٤) تهذيب التهذيب، ٤/ ٤٥٤.
(١٥) تفسير الطبري، ١/ ٨٢.
(١٦) الدر المنثور، ١/ ٨.
(١٧) لسان الميزان، ١/ ١٤٤.
(١٨) ميزان الاعتدال، ١/ ٢٥٣. لسان الميزان، ١/ ٤٤٢.
(١٩) أصول الكافي، ١/ ١٤٤، ح١، ط ـ مكتبة الصدوق.
(٢٠) التوحيد (الصودق)، ص ٢٣٠، ح٢.
(٢١) المحاسن، ص ٢٣٨، ٢١٣.
(٢٢) مرآة العقول، ٢/ ٣٧.
(٢٣) رجال المامقاني، ٢/ ٢٦.
(٢٤) معجم رجال الحديث، ١٤/ ٦٥ و١/ ٥٠.
(٢٥) نقل ذلك سماحة السيد موسى الشبري الزنجاني.
(٢٦) التوحيد (الصدوق)، ص ٢٣٠، ح٣.
(٢٧) معجم رجال الحديث، ٩/ ١٣٠.
(٢٨) رجال الكشي، ص ٤٩٣، الرقم ٤٨٣. ط ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
(٢٩) التوحيد (الصدوق)، ص ٢٣٠، ح٣.
(٣٠) عيون أخبار الرضا، ١/ ٢٧٢. ط ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی